عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلۡيَحۡكُمۡ أَهۡلُ ٱلۡإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾

لقد كان الرسول ﷺ بطبيعة الرسالة القدسية يحزنه الذين يسارعون في الكفر، مسارعة ضد دعوته الإيمانية، وكل داعية يتحسر حين يرى المدعوين يسارعون ضده، فهنا الله تعالى يسلي خاطر الرسول ﷺ أن ﴿لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ﴾ لأنه ما قصر في دعوته وهم ﴿لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا﴾[1].

أفحزناً عليهم - بعدُ - على تقصيرك في الدعوة؟ وما قصَّرت! أم على أن يضروا الله شيئاً؟ ولن يضروا الله شيئاً؟ أم أن يمكروا بك إبطالاً لرسالتك ودعوتك ﴿وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ﴾[2] فإنما يُحزن على مسارعة الكفر من واحدة من هذه وما أشبه، فلا دافع - إذاً - لحزنك يا حامل الدعوة متصبراً على كل أذى وكل لظى في هذه السبيل الشائكة المليئة بالأشلاء والدماء، فإن الله ناصرك ومولاك، نعم المولى ونعم النصير، ومن أخطر المسارعين في الكفر هم المنافقون ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ﴾ حيث يفسدون داخل الصفِّ الإسلامي، ولكن أية محاولة ماكرة منهم، ناكرة للحق، تواجه بصدٍّ سديد من الله ومن أهل الله، فلا يؤثر مكرهم إلّا فيمن هم كأمثالهم، وأما المؤمنون الصامدون فهم لا يزدادون في هذه العرقلات إلّا إيماناً وعلى ربهم يتوكلون.

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٧٦.
(٢) سورة النحل، الآية: ١٢٧.

وكيف ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ﴾ وليس القول إلّا بالأفواه؟.

ذلك لأن طبيعة الحال في القول إخباره عن القلب، وأن القول يعم قول الأفواه إلى قول القلوب والأعمال، فهم ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ﴾ دون قلوبهم، قولة فاضية عن واقعها ﴿وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۚ﴾ بما قالوا بأفواههم.

ذلك ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ﴾ وعلها عطف على ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ...﴾ بحذف «هم» مبتدأ لـ«سماعون» تبريراً لرفعها، ولكنها - إذاً- «ومن الذين هادوا هم سماعون...» فقد استقلت عما قبلها فلا عطف، فالأرجح أن واوها للاستئناف، أن المنافقين الأوّلين يسارعون في الكفر، وهؤلاء الكفار متوغلون في الكفر إذ لا يؤمنون بما آمنوا به من شرعة التوراة، أم ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ عطف يعني ومنهم منافقون كمن سواهم، ثم وصف المنافقون ككل بـ﴿سَمَّٰعُونَ﴾ صفة لـ ﴿يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ﴾ وعلّه أصلح الوجوه كما هو أصح في أدب اللفظ والمعنى حيث الذين حزَّنوه هم هذان الفريقان من المنافقين بثالوث المواصفات «سماعون... يحرفون... يقولون» وذلك الثالوث هو من أنحس النفاق وأتعسه.

فهؤلاء الحماقى الأنكاد اختصوا أسماعهم بسماع الكذب والسماع للكذب فإن «للكذب» يعمهما: كذباً مسموعاً وكذباً مقولاً لهم وكذباً في تكذيبهم للرسول ﷺ حيث يلائم وطبيعتهم الشريرة المتخلفة عن جادة الصواب، وهم ﴿سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ﴾ حيث ينقلون لهم عنك أكاذيب ليشوّهوا بذلك سمعتك الرسالية، ويصدون عنك السالكين إليك.

إذاً فهم سماعون لكذب الكاذبين ليكذبوا الرسول، وسماعون لصدق الرسول ليكذبوه فليس غايتهم في كونهم سماعين لأي كذب أو صدق إلّا الكذب، أن يكذبوك فيما ينقلون، كما وهم «سماعون» ما يسمعون ﴿لِقَوۡمٍ

ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ﴾ فإنهم لهم عيون وجواسيس، فالقوم الذين أتوك ليسوا ليصدقوهم في أكاذيبهم التي ينسبونها إليك، فإنهم غيّب وهم كأمثالهم في الكفر يتلقون أقوالهم عنك بكل قبول وإقبال، تجاوباً للجمعين في تكذيب وتشويه سمعتك.

﴿يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ﴾ تحريفاً لكلم الله بعدما أخذت مواضعها من ألفاظها ومعانيها، وتحريفاً لكلامك عما تعنيه لفظياً أو معنوياً كما هو دأبهم الدائب.

﴿يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ﴾ حيث هم يتطلبون أن ينحو الرسول ﷺ منحاهم فيما يتحاكمون إليه فينافقون في أمرهم: ﴿إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا﴾ الذي تهوون ﴿فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ﴾ حكمه، فهم يخالفون التوراة الحاكمة ضد ما هم يهوون، ويخالفون الرسول ﷺ حيث يتحاكمون إليه إن خالفهم فيما يهوون، فهؤلاء من المنافقين بين الذين هادوا، وقد وردت في الآثار شأن نزول هذه الآيات بمختلف التعبير[1].

﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ﴾ حيث لا ينصره في تلك الهزاهز التي اختلقها عامداً عاندا ﴿فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ﴾ وأما من يريد نجاته حيث ينصره في المهالك إذ يدق أبواب الهدى، فقد تملك له من الله شيئاً من التماس المغفرة والشفاعة.

«أولئك» السماعون للكذب المحرفون الكلم من بعد مواضعه المنافقون

(١) فقد روي أنها نزلت في قوم من اليهود ارتكبوا جرائم زنا أو سرقة أماهية ثم ارتبكوا في إجراء الحكم حيث كان المجرم من الشرفاء وهم لا يسوون بينهم وبين سواهم فتآمروا على رسول الله ﷺ أن يستفتوه فيها فإن أفتى لهم بالعقوبات التغرية المخففة خلافاً على التوراة والقرآن عملوا بها كأنها حجة لهم عند الله حيث أفتى بها رسول من الله وإن حكم فيها بالحق وهو التسوية بين الشريف والدني لم يأخذوا بحكمه ﴿إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ﴾ [المائدة: ٤١].

مع الرسول هم ﴿ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ﴾[1] وكفاهم ذلاً وضلاً أن يكلهم الله إلى أنفسهم، تتوارد على قلوبهم الأهواء من أنفسهم ومن شياطين آخرين، فـ ﴿لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ﴾ القلوب المقلوبة المفصولة عن هدى الله، المغلوبة بطوع الأهواء ﴿وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ أعظم من الدنيا وأعزم إذ ليست الدنيا دار جزاء.

ومن غريب الوفق توافق الدنيا والآخرة بمختلف صيغهما في القرآن مما يدل على التوازن بينهما فهما جناحان اثنان لا بدَّ للطائر إلى مقامات القدس أن يطير بهما، والعدد الوفق بينهما (١١٥) مرة!.

ذلك وهكذا يكون دور الذين يدَّعون الإسلام ثم يحاولون تبديل حكم إلى آخر تنقُّباً له بنقاب الفتوى، مفتشين عمن يفتي لهم وإن لم يرضوه مفتياً في سائر الأحكام، فهؤلاء اليهود المكذبون بالرسول هنا يظهرون أنفسهم مظهر القبول بما يفتي لهم وهم بعد ناكرون لرسالته، وذلك نفاق مزدوج عارم، نفاقاً في تهودهم إذ لا يرضون التوراة لهم حكماً فيما لا يهوون، ونفاقاً في استفتائهم الرسول ﷺ كأنهم من أمته رافضين التوراة إلى شرعة القرآن.

وهنا ندرس أن «ليس كل من وقع عليه اسم الإيمان كان حقيقاً بالنجاة مما هلك به الغواة، ولو كان ذلك كذلك لنجت اليهود مع اعترافها بالتوحيد وإقرارها بالله ونجا سائر المقرين بالوحدانية من إبليس فمن دونه في الكفر

(١) في تفسير العياشي عن سليمان بن خالد قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن الله إذا أراد بعبد خيراً نكت في قلبه نكتة بيضاء وفتح مسامع قلبه ووكل به ملكاً يسدده وإذا أراد الله بعبد سوء نكت في قلبه نكتة سوداء وسد مسامع قلبه ووكل به شيطاناً يضله ثم تلا هذه الآية ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا...﴾ [الأنعام: ١٢٥] وقال: «إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لا يُؤۡمِنُونَ» وقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ﴾ [المائدة: ٤١].

وقد بيَّن الله ذلك بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ﴾ فالإيمان بالقلب هو التسليم للرب ومن سلم الأمور لمالكها لم يستكبر عن أمره[1].

﴿سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗاۖ وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٤٢﴾:

هؤلاء المنافقون من اليهود وسواهم هم ﴿سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ﴾ سمع الكذب وسمعاً للكذب تنقلاً ونقلاً وتطبيقاً ﴿أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ﴾ وهو لغوياً القشر المستأصل، والسحت أياً كان مستأصِل للآخذ والمأخوذ منه ولا سيما سحت الرشا حيث يستأصل إيمان المرتشي وحق أهل الحق كما ويستأصل الأمن عن الحياة الإنسانية الأمينة، وذلك الاستئصال دركات حسب دركات الباطل فيه ومن أنحسها الرشا والربا.

فالسحت هو الحرام رشاً وسواها بديلاً عن تحريف الكلم من بعد مواضعه ﴿فَإِن جَآءُوكَ﴾ بتلك الحالة المنافقة فأنت بالخيار إيجاباً في الحكم بينهم وسلباً ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ﴾ حكماً بينهم لأصل التحاكم وفصل الحكم، وإعراضاً عنهم إذ لا يريدون تطبيقه، ولا تخف من الإعراض عنهم ضرراً عليك ﴿وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗاۖ﴾ في رسالتك، لساحتك وسماحتك ﴿وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾ وهو حكم الله دون ما تهواه أنفسهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾.

وهنا «السحت» لا تختص بالرشا في الحكم مهما كانت أنحسه بل هو

(١) نور الثقلين ١: ٦٣٢ في كتاب الاحتجاج للطبرسي عن أمير المؤمنين عليه السلام حديث طويل يقول فيه.

الأكل بالباطل أياً كان رشىً أم رباً أم سرقة أم بخس مكيال وما أشبه ويجمعها ﴿وَأَخْذِهِمُ الرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ. . .﴾[١].

فلأنهم لا يبالون الأكل بالباطل، بل يحومون حوله ويخوضون فيه مصرين عامدين، لذلك يعبر عنهم بـ ﴿أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾ ولا سيما الرشا في الحكم فإنه في حدِّ الكفر[٢].

﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾﴾:

﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ﴾ استفهام إنكاري على هؤلاء المنكرين المنافقين من اليهود أنهم يحكّمون رسولاً غير رسولهم دون تصديق لرسالته ﴿وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ﴾ الذي يحكم بينهم في قضيتهم، وليس ﴿فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ﴾ سلباً

(١) سورة النساء، الآية: ١٦١.

(٢) الدر المنثور ٢: ٢٨٤ عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «رشوة الحكام حرام وهي السحت الذي ذكر الله في كتابه»، ورواه عنه ﷺ مثله ابن عمر، وفيه أخرج عبد بن حميد عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه سئل عن السحت فقال: الرشا، فقيل له في الحكم؟ قال: ذاك الكفر، وفيه عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ: «هدايا الأمراء سحت»، وفيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «ست خصال من السحت رشوة الإمام وهي أخبث ذلك كله وثمن الكلب وعب الفحل ومهر البغي وكسب الحجام وحلوان الكاهن»، وعن يحيى بن سعيد قال: لما بعث النبي ﷺ عبد الله بن رواحة إلى أهل خيبر أهدوا له فروة فقال ﷺ: سحت، وعن ثوبان قال: لعن رسول الله ﷺ الراشي والمرتشي والرائش يعني الذي يمشي بينهما وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «من السحت كسب الحجام وثمن الكلب وثمن القرد وثمن الخنزير وثمن الخمر وثمن الميتة وثمن الدم وعب الفحل وأجر النائحة وأجر المغنية وأجر الكاهن وأجر الساحر وأجر القائف وثمن جلود السباع وثمن جلود الميتة فإذا دبغت فلا بأس بها وأجر صور التماثيل وهدية الشفاعة وجعلة الغزو».

أقول: وفي بعضها كلام كدباغ الميتة ثم ومن السحت ما يوفق ومنه كفر كأخذ الرشا للحكم بغير ما أنزل الله وكما في نور الثقلين ١: ٦٣٣ عن الكافي عن عمار بن مروان قال سألت أبا جعفر عليه السلام عن الغلول فقال:... فأما الرشا في الحكم فإن ذلك الكفر بالله العظيم وبرسوله ﷺ، ورواه مثله سماعة أبي عبد الله عليه السلام.

لتحريف أحكام في التوراة إذ ليس النص «أحكامها أحكام الله» حتى يحلّق على كل الأحكام الموجودة فيها، وإنما ﴿فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ﴾ ولا ينافيه أن فيها أحكام غير الله بما حرفوا، والقصد من حكم الله هنا هو الحكم المحتاج إليه في قضيتهم رجماً للزنا[١] أم حداً آخر للقتل والسرقة[٢] ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ الحكم في التوراة وما حكمت وفقها قضية التوافق، وأنهم كيهود يحكم لهم بالتوراة ﴿وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بشرعتهم فضلاً عن شرعة الإسلام، فإنما هم يؤمنون بأهوائهم الهاوية وأهدافهم الغاوية.

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۖ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾:

(١) وكما في الإصحاح الثاني والعشرين من سفر التثنية من التوراة ٢٢، إذا وجد رجل مضطجعاً مع امرأة زوجة بعل يقتل الاثنان: الرجل المضطجع مع المرأة والمرأة فتنزع الشر من إسرائيل ٢٣ إذا كانت فتاة عذراء مخطوبة لرجل فوجدها رجل في المدينة واضطجع معها ٢٤ فأخرجوهما كليهما إلى باب المدينة وارجموهما بالحجارة حتى يموتا: «الفتاة من أجل أنها لم تصرخ في المدينة، والرجل من أجل أنه أذل امرأة صاحبه فتنزع الشر من وسطك».

(٢) الدر المنثور ٣: ٢٨٥ أخرج ابن مردويه عن براء بن عازب قال مرّ على رسول الله ﷺ يهودي محمم قد جلد فسألهم ما شأن هذا؟ قالوا: زنى فسأل رسول الله ﷺ اليهود ما تجدون حدّ الزاني في كتابكم قالوا نجد حده التحميم والجلد فسألهم أيكم أعلم فوركوا ذلك إلى رجل منهم قالوا فلأن فأرسل إليه فسأله قال نجد التحميم والجلد فناشده رسول الله ﷺ ما تجدون حد الزاني في كتابكم قال نجد الرجم ولكنه كثر في عظمائنا فامتنعوا منهم بقومهم ووقع الرجم على ضعفائنا فقلنا نضع شيئاً يصلح بينهم حتى يستووا فيه فجعلنا التحميم والجلد فقال النبي ﷺ اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه فأمر به فرجم قال ووقع اليهود بذلك الرجل الذي أخبر النبي ﷺ وشتموه وقالوا كلنا نعلم أنك تقول هذا ما قلنا إنك أعلمنا قال ثم جعلوا بعد ذلك يسألون النبي ﷺ ما تجد فيما أنزل إليك حد الزاني فأنزل الله ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ٤٣] يعني حدود الله فأخبره الله بحكمه في التوراة قال: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ - إلى قوله: وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ [المائدة: ٤٥].

﴿ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ﴾ كما أنزلناها، وأما الضلالة والظلمة المتسربة إليها المترسبة فيها بأيدي المحرفين فليست داخلة في نطاق ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ﴾ فـ ﴿يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ﴾ لحكم الله ليس مجاله إلّا التوراة النازلة من عند الله لا كل ما يسمى توراةً.

وترى ما هو دور ﴿ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ﴾ وصفاً لـ«النبيين» والإسلام لله كأصل هو من أبرز شروطات الرسالة فضلاً عن النبوة التي هي أعلى منها؟

فهل يعني الإسلام الذي استدعاه إبراهيم لنفسه ولإسماعيل وذريته منه؟

وهؤلاء النبيون الحاكمون بالتوراة كلهم إسرائيليون! ثم وليس إسلامهم بذلك المحتد العظيم الإبراهيمي المحمدي! ﴿ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ﴾ هنا من دوره إخراج المدعين النبوة في الإسرائيليين المعبر عنهم في التوراة والإنجيل بالأنبياء الكذبة، فإنهم غير مسلمين لأية درجة منه فليس لهم - إذاً - أن يحكموا بالتوراة.

ودور آخر أنهم أسلموا وحي التوراة خالصة غير كالسة للدين هادوا، والمعنيان - علّهما - معنيان لملائمة اللفظ والمعنى، فهم من الأنبياء الصادقين الذين أسلموا، وكما أسلموا التوراة للذين هادوا.

وقد يؤيد الآخر حذف المفعول لـ«أسلموا» وأن ﴿لِلَّذِينَ هَادُواْ﴾ دون «في - أو - على» مما يوسع نطاق الاحتمال في حقل «أسلموا».

ثم ﴿لِلَّذِينَ هَادُواْ﴾ في وجه طليق يشمل كافة المكلفين بالشرعة التوراتية، فإنهم بين الذين هادوا إلى الحق والذين هادوا عن الحق هوداً أم سواهم، وكما هو في وجه خاص ببيت إسرائيل يشمل إلى عامتهم - مؤمنين وفاسقين - خاصتهم من الأحبار والربانيين.

وترى ما هو الفارق هنا بين ﴿هُدٗى وَنُورٞۚ﴾؟ قد تعني «هدىً» مواد الهدى

المسرودة في التوراة لأصول شرعتها وفروعها كما تناسب الردح الزمني الحاكم فيه التوراة.

وأما «نور» فهي الهدى التي تحصل للمهتدين على ضوء هذه الهدى، فهي - إذاً - عامة، والنور هي واقعها للمهتدين بالتوراة، فالفارق بينهما - عموماً مطلقاً - كما الفارق بين ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾[1] و﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[2].

ذلك، كما وهي التي تنير الدرب لشرعة مستقبلة بنبيّ يقبل، فهي - إذاً - البشارات المودوعة في التوراة بحق الرسالة القدسية القرآنية، فالحكم بـ«هدىً» هو المخصوص بحقل الشرعة التوراتية لزمنها الخاص، والحكم بـ«نور» يبين تلكم البشارات للناس ليكونوا على خبرة بتلك الشرعة الآتية.

ثم ومن «نور» ما ينير الدرب في التوراة على أصيله من دخيله، وما يوضح الغامض منه حيث يفسر بعضه بعضاً وينطق بعضه على بعض كما هي طبيعة الوحي أياً كان.

ومنها «نور» مستفادة من التدبر في آياتها والعمل بها حيث تزداد أصحابها هدىً على هدىً، إذاً فالنور هي المشرِّفة على الهدى المشرّفة صاحبها إليها.

ومنها «نور» العقل الناضج على ضوء الوحي، ومن غريب الوفق العددي ذكراً في الذكر الحكيم توافق النور والعقل، فإن كلاً يأتي (٤٩) مرة، مما يبرهن أنهما صنوان اثنان وفرقدان لا يتفارقان.

ثم و﴿يَحْكُمُ... لِلَّذِينَ هَادُواْ﴾ كرأس الزاوية في الشرعة التوراتية سواء الذين هادوا رجوعاً إلى الله أم رجوعاً عن الله، ثم سائر المكلفين من

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢.

القبيلين كما و«يحكم بها» الربانيون والأحبار، وهم علماء التوراة حيث يحكمون ﴿بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ دون المحرف فيه.

﴿يَحْكُمُ...﴾ ويحكمون «و» الحال أنهم ﴿وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ﴾ شهادة على المستحفَظ لهم من كتاب الله، حيث يميزون بين أصيله ودخليه فالنبيون يشهدون بالوحي، وغيرهم بوحيه بما أنسوا من وحي الكتاب، حيث يعرفونه، أو المشكوك منه حيث لا يشهدونه، فإن أصيل الوحي نور تنير الدرب على معرفة دخيله.

إذاً فالتوراة في مثنى الحكم بها من النبيين - والأحبار والربانيين، ليست إلّا ما أنزله الله، ومهما كانت العصمة الرسالية في أنبياء التوراة هي المستحفظة لهم عن خليطها، كذلك سائر الاستحفاظ لمتحري الحق، المؤيّد من عند الله، العارف بوحي الله، المستأنس بكلام الله، ذلك الاستحفاظ هو الذي يصون أهليه عن أي اهتزاز وجاه التوراة المحرفة.

ذلك، وللاستحفاظ هنا أبعاد ثلاثة كلها معنية بـ﴿بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ﴾ ١ - حفظاً علمياً فلا ينسونه، ٢ - وعقيدياً فلا ينكرونه، ٣ - وعملياً فلا يتناسونه، وذلك المثلث من الاستحفاظ هو المبرِّر الفارض لـ«يحكم بها».

فالحاكم بكتاب الله من غير المعصومين يعصم عن الأخطاء القاصرة والمقصرة شيئاً كثيراً إذا كان مستحفظاً بعدله وعلمه البارع على ضوء الكتاب، فهو - إذاً - محفوظ بما استحفظ من عنده ومن عند الله توفيقاً له رفيقاً يحفظه عن الزلات والضلالات.

إذاً ﴿فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ﴾ النسناس المحرفين له المحترفين به والتابعين لهم، فلن يضروا أهل الله شيئاً كما ﴿لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾[1] بل

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٧٦.